

"جامع النحاسين" بداية مقبرة الدحداح

لالباحثة نبيلة القوصي

بمحلة العقبية [862هجري / 1457 ميلادي]

إخوتي القراء:

تفخر مدينة دمشق لدعوتكم في جولة سياحية بين أركانها، مرتدية حلة من أبيض الحلل، بما وصفها سيد الخلق بأنها ستكون أكثر المدن مساجداً وأكثرها أهدالاً، صلى الله عليه وسلم... فهياً معاً نمضي باتجاه مقبرة الدحداح الكائنة في شارع بغداد، و من على يمين الشارع نتسلل باتجاه محلة مشهورة بنسائهما الإيمانية.. (العقبية)، التي تضم مسجد (التوبة) الذائع الصيت، هناك نمضي ولساننا يدعو لمن سبقونا ونحن بهم لاحقون، أن يلهمنا المولى حسن التدبر والتأمل. كان خانقاه بمعنى زاوية أو رباط، ليصبح فيما بعد مسجداً.

باسم جامع النحاسين:

الخانقاه: كلمة فارسية تعرف بالمكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة، إذ تجمع بين وظيفتي المسجد و المدرسة من حيث التخطيط العمراني، مضافاً إليها غرف للخلوة، و التي عرفت باسم (الخلاوي). و عرفت في العهد العثماني باسم: التكية، والرباط والزوايا والخانقاه والتكايا تشترك في وظيفة (الخلوات) بمعنى التفرغ للعبادة والتقرب إلى الله لوقت طويل، و إن العبادة الروحية وصقل الروح باستمرار يعد جوهر الإسلام.

يقول النعيمي: مسجد النحاسين غربي الذهبية، وشمال حمام شجاع، بطريق مقبرة الفراديس. فاسم الجامع القديم (الخانقاه النحاسية)، بالعمارة البرانية.

أنشأ الزاوية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إسماعيل ابن النحاس الدمشقي، في عام 862هـجري، ثم ترك أموالها و أولاده و ذهب إلى جدة الحجاز إلى أن مات و دفن هناك، وإليه نسبتها. أما في وصف الجامع فنرى له واجهة حجرية عالية جميلة، من حجر أصفر و أسود فيها باب بديع مزخرف.

وإلى يمين الباب قبة متهدمة من حجر تحتها ثلاثة قبور، و إلى اليسار المصلى القائم على قوسين من الحجر تحتها محراب حجري جميل، وفي الصحن بركة مستطيلة ورواق من جهة القبلة وغرف للمجاورين إلى الشرق.

بعد التأمل في أسطر التاريخ ... نرى مدى أهمية العبادة الروحية الذاتية، والتي هي جوهر الإسلام. وماذا بعد أيها الساكن دمشق؟ دمشق تنتظر منك حسن التأمل والتدبر أثناء السير فوق أرضها التي بوركنت على لسان سيد الخلق فهل سنستجيب و نناجي المولى بصدق لأن نكون من خيرة العباد؟

المصادر والمراجع:

- ثمار المقاصد في ذكر المساجد / لابن عبد الهادي

- الدارس في تاريخ المدارس / للنعمي

- العمارة الإسلامية



